الانسحاب الامريكي من افغانستان بين الاطروحتين الواقعية والبنائية

م.د.همام عبد الكاظم الجرياوي

ا.م.د. علي حسين كاظم العصامي

كلية الامام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الاسلامية الجامعة

ملخص

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على المبررات العملية للانسحاب الامريكي من افغانستان والدور الذي لعبته فكرة توظيف القوة "بجوانبها العسكرية" لتحقيق اهداف السياسة الخارجية إذ تقوم الرؤية الواقعية على فهم الساحة الدولية بوصفها نظاماً من الفوضى السياسية والعون الذاتي وميداناً للتنافس, لذلك فهم يرون في الاداة العسكرية اكثر نجاعة في تحقيق الاهداف, في حين رأى البنائيون القوة من خلال فوقية الافكار ودور الهياكل والوكلاء في تشكيل القوة, خصوصا على المستوى الدولي إذ ان فهمهم للقوة كان مختلفاً جذرياً عن الواقعيين, مما دفعهم لتقديم تفسيرات مختلفة عن فاعلية الادوات في تحقيق اهداف السياسة الخارجية.

Abstract

This paper tries to highlight the practical justification of American withdrawal from Afghanistan and the role of perspective of the use of (military power) to achieve foreign policy goals. The realism perspective based on understanding the international politics as a system of political anarchy, self-help and place for international competition, Therefore they saw the military power as the best to getting the goals. While the constructivist saw the power through the superstructure of ideas and the role of structures and agents in shaping the power especially in international level. So they contribute different understood about the effective of materials in achieving foreign goals.

الكلمات المفتاحية

الانسحاب الامريكي، الاطروحة الواقعية ، الاطروحة البنائية ، توظيف القوة في السياسة الخارجية

The American withdrawal, Realism theory, Constructivism theory, Power in foreign policy

المقدمة

لقد تسببت الطريقة الدراماتيكية للانسحاب الامريكي من افغانستان بصدمة ليس على مستوى الداخل الامريكي فحسب, وانما حتى لدى العديد من المختصين في العلاقات الدولية, مما آثار جملة من التساؤلات الشبيهة بتلك التي طرحت عقب انتهاء الحرب الباردة عن جدوى فاعلية الاطروحة الواقعية في توظيف القوة "العسكرية" في السياسة الخارجية, لذا يحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على اثر التبني المتطرف للاطروحة الواقعية وتحديدا فيما يتعلق بتوظيف القوة "العسكرية" في الفكر الاستراتيجي الامريكي, خصوصا وان هذا الانسحاب جاء في ظروف تشهد فيها البيئة الدولية تغييرات كبرى تتعلق بمستقبل النظام الدولي ، وعليه فان هذا البحث سينطلق للإجابة على مجموعة من التساؤلات ابرزها: كيف تساهم القوة في رسم معالم السياسة الخارجية الامريكية؟ وما تبعات الانسحاب الامريكي من افغانستان على معالم القوة الامريكية؟ وكيف توظف الاطروحة الواقعية "القوة العسكرية" وما مبرراتها؟ وكيف تفسر الاطروحة البنائية القو؟ة وما تشخيصها لمكامن الضعف الامريكي؟ .لذا فان هذا البحث سينطلق من افتراض جوهري مفاده **(ان التبني المتطرف لفروض الاطروحة الواقعية والخاصة بتوظيف القوة "العسكرية" لدى صناع القرار الامريكي لا ينسجم مع طبيعة الاهداف الاستراتيجية الامريكية والمتمثلة بالدفاع عن قيم الديمقراطية الغربية)** حيث سينقسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسة, يتناول الاول, القوة وتبعاتها في السياسة الخارجية الامريكية, اما المحور الثاني فسيختص بالاطروحة الواقعية وتوظيف القوة في السياسة الخارجية الامريكية, في حين سيكون المحور الثالث الاطروحة البنائية في توظيف القوة في السياسة الخارجية.

المحور الاول :القوة في السياسة الخارجية الامريكية

يبدو أن الولايات المتحدة الامريكية وبالرغم من عدّها الدولة الاكثر تقدما من جهة القوة على اختلاف الصعد (الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية....الخ), الا انها تجد صعوبة بالغة في فهم الدرس, فمغريات الحرب وتوظيف القوة العسكرية تكاد لا تبارح الادارات الامريكية على اختلافها, فدروس الحرب الفيتنامية التي كادت ان تطيح بالولايات المتحدة من عرش ميزان القوة العالمي (انذاك) كانت غائبة عن مخيلة صانع القرار الامريكي عندما قرر غزو افغانستان عام ٢٠٠١ وبعده العراق ٢٠٠٣، لتجد نفسها غارقة في مستنقع الحروب, ما دفعها بعد عشرين عاما بطريقة دراماتيكية أثارت الكثير من التساؤلات, وعليه فإننا في هذا الجزء من بحثنا سنتناول منطق القوة في السياسة الخارجية الامريكية وتبعات الانسحاب الامريكي من افغانستان .

اولا: منطق القوة في السياسة الخارجية الامريكية

ترتكز السياسة الخارجية الامريكية كأي سياسة خارجية اخرى على عنصر القوة في تنفيذ اهدافها ولكون القوة هي الاداة الاساسية لإرغام الخصوم فقد كانت القوة العسكرية الشكل الابرز من

اشكال القوة التي يتم توظيفها في كثير من الأحيان في السياسة الخارجية الامريكية على الرغم من تطور عناصر القوة الأخرى ووسائل توظيفها, فمنذ ظهور الولايات المتحدة كأحد اقطاب النظام الدولي عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية, كانت لتوظيف القوة العسكرية السهم الاكبر في توجهات الولايات المتحدة إذ كان الانخراط العسكري المباشر سمة بارزة لتحقيق التفوق الامريكي سواء في الحرب الكورية أو الفيتنامية او حتى اثناء الحرب الباردة كان لسباق التسلح النصيب الاكبر لاثبات القوة الامريكية في ميزان القوة العالمي.

وبشكل عام فان السياسة الخارجية الامريكية خلال الحرب الباردة كانت توصف بانها واقعية مع اهداف دبلوماسية معلنة ومحدودة, إذ تمحورت بمجملها حول الدفاع عن البلاد والمحافظة على قيم الديمقراطية الغربية والدفاع عن الحلفاء الا ان هذه الاهداف لم تعد ضمن الاولويات, فالمستويات الجديدة التي خلفتها حقبة ما بعد الحرب الباردة كانت تركزت حول ضرورة اجراء تغييرات شاملة للنظام السياسي الدولي, ففي حين ركز الاميركيون اثناء الحرب الباردة على مسألة الحفاظ على المؤسسة العسكرية اصبحوا يتباهون بأن امتهم هي القوة العظمى الوحيدة في العالم [١]

وفي الحادي عشر من ايلول سبتمبر ٢٠٠١ بدأت الحروب الامريكية حقبة جديدة تذكرنا باسلوب وزخم الهجوم الياباني المباغت على بيرل هاربر, إذ اقحم الخاطفون طائرتين عبر برجي التجارة العالمية في مانهاتن واحدثوا فجوة في مبنى البنتاغون بطائرة عملاقة وكادوا ان يدمروا مبنى الكابيتول لولا جهود ركاب الرحلة ٩٣ لخطوط يونايتد ايرلاين الذين نجحوا في انتزاع الطائرة من ايدي الخاطفين كانت حصيلة الهجوم قرابة ٣٠٠ شخص قضوا نحبهم جراء الهجوم[٢].

لذا فقد سعت الولايات المتحدة الى توظيف عناصر قوتها العسكرية في حقبة ما بعد الحرب الباردة, لغرض اثبات هيمنتها وارساء دعائم نظام احادي القطبية انطلاقا من مبدأ ترومان المعروف بسياسة الاحتواء, فمنذ نهاية الحرب الباردة شنت الولايات المتحدة عدة حروب في كوسوفو, وافغانستان والعراق, لم تسفر فقط عن مقتل العديد من , وانما تسببت ايضا في خسائر فادحة في صفوف المدنيين وخسائر اقتصادية، وفي عام ٢٠٠٣ على الرغم من معارضة المجتمع الدولي الحرب على العراق استمرت الولايات المتحدة بتوظيفها لتفوقها العسكري لتحقيق اهدافها دون الحاجة الى مبرر[٣].

لقد كان ذلك الهجوم مبرراً ممتازاً للادارة الامريكية لشن حروبها اللاحقة من وجهة النظر الامريكية فان الحروب الثلاثة التي اعقبت احداث الحادي عشر من سبتمبر مترابطة من نواحي عدة حيث كانت القاعدة قد استخدمت افغانستان ملاذاً تخطط منه لعملياتها الارهابية, ومن هنا جاء الهجوم على نظام طالبان الذي كان يحتضنها وعندما اصبح واضحا ان القاعدة قد تعافت في الاقليم الشمالي الغربي لباكستان الذي يعج بالاضطرابات فتحت جبهة ثانية اتخذت شيئا فشيئا صيغة عالمية ضد التنظيم ومع

الوقت باتت الفصائل الجديدة المنبثقة عن القاعدة (فصيل اليمين–فصيل شبه الجزيرة العربية) من جملة اهداف الغارات الامريكية, اما بالنسبة لنظام صدام فقد ارتاب بعض القادة الاميركيين بوجود صلة بين النظام العراقي(انذاك) والحركة التي يتزعمها اسامة بن لادن متمثلة بمجموعة من العلاقات و لكنها لم تكن على تلك الدرجة من الاهمية فيما يخص الهجمات على الولايات المتحدة[٤], لذا كانت حرب العراق الاكثر جدلية بين تلك الحروب .

وبشكل عام فان اغلب المختصين يرون بأن توظيف الولايات المتحدة لقوتها العسكرية في سياستها الخارجية كان لاهداف احتواء وفقا لنموذج "الحرب الاستباقية" ولم يكن هدفا لذاته, وانما اداة لتحقيق اهداف سياسية، حيث وجدت الولايات المتحدة, ان دعمها للانظمة الاستبدادية غير الناجحة اقتصاديا ادى الى ظهور المتطرفين بلحاظ أن الفقر والتهميش من ابرز ما يتغذى عليه الفكر المتطرف[٥].

ان المشكلة الاساسية التي ظهرت كتبعات للتوظيف المباشر للقوة الاميركية هو تنامي ظاهرة معاداة اميركا (Anti–Americanism)[٦] التي اظهرت الولايات المتحدة قوةً متغطرسة في بعض الاوساط الاوربية ، إذ كان لذلك اثر على مستوى الداخل الامريكي بضرورة الانصراف الى مشاكل الداخل ,وادركت الادارات الامريكية متأخرا تراجع الفائدة المجتناة من توظيف القوة العسكرية لتحقيق اهداف السياسة الخارجية, وتصاعد اهمية الادوات غير العسكرية إذ ذكر تقرير نشرته مؤسسة راند ان الحنكة السياسية تتحكم بالقدرة على الارغام والتي بامكانها توظيف العقوبات الاقتصادية والاجراءات السياسية العقابية والعمليات الالكترونية والعمليات الاستخبارية السرية...الخ, وغيرها من الاجراءات والادوات التي بالامكان توظيفها لتحقيق اهداف السياسة الخارجية [٧]

ان توظيف الادارة الامريكية الاداة العسكرية في تحقيق اهداف السياسة الخارجية تعد واحدة من اكثر القضايا جدلية في العلاقات الدولية, ومع ذلك فان وجهة النظر الامريكية بان جميع الحالات التي استخدمت الولايات المتحدة الامريكية قواتها المسلحة كانت حروب استباقية لتحقيق اهداف تتعلق باحتواء خصوم محتملين الا ان الاشكالية الكبرى التي ظلت تلاحق السياسة الخارجية الامريكية هي التبعات المترتبة على تلك الحروب التي تمثل المشكلة الاساسية التي ظلت تواجهها الدبلوماسية الامريكية خصوصا في ظل زيادة الحديث عن الاثار الاقتصادية والاجتماعية والامنية لتلك الحروب فضلا عن اثرها في الاهداف الاساسية التي انطلقت لتحقيقها في المحافظة على القيم الغربية ونشر الديمقراطية.

ثانيا: تبعات الانسحاب الامريكي من افغانستان

إنّ اكثر توصيف يمكن ان ينطبق على عموم توجهات الاستراتيجية الامريكية في افغانستان وغيرها من الدول التي اجتاحتها عسكريا هي ان الولايات المتحدة بارعة في تحضير الجن الا انها غير قادرة على صرفه, فالمتتبع للشأن الامريكي يلاحظ ان مغريات القوة والتفوق الامريكي دائما ما كان حافزا لصناع قرارها في اتخاذ قرارات الحروب دون ان يكون هنالك خطة او دراسة حقيقية للتبعات المترتبة على تلك القرارات, فقرار الحرب على افغانستان كان امتداداً لخطاب خطورة الدول الفاشلة, واثار تلك الدول او الحكومات في تنامي ظواهر الارهاب والتطرف ولكن بعد عشرين عاماً من الحرب في افغانستان جاء الانسحاب الامريكي بالطريقة التي شهدها العالم, فالتبعات التي خلفها الفشل الاستراتيجي في افغانستان كان اولها انهيار النظام الافغاني, فلم تستطيع الولايات المتحدة من ايجاد نظام قادر على ادارة الاوضاع في ظل الانسحاب الامريكي, وبغض النظر عن المبررات التي قدمها صناع القرار في الولايات المتحدة الخاصة بضرورة الاهتمام بالتحديات الكبرى المتمثلة بتبعات جائحة كورونا وتنامي القوة الصينية واعادة ضبط ايقاع الديمقراطية الامريكية التي زلزلتها التوجهات الترامبية وغيرها[٨]فان طريقة الانسحاب لم تؤثر في واقع وسمعة الولايات المتحدة فحسب, وانما حتى على ثقة حلفائها بها فلا يتوقع بعد الآن اي نظام او حكومة موالية للتوجهات الامريكية المزيد من الدعم الامريكي فضلا عن العودة الى الصفر فيما يخص مكافحة الارهاب ودعم التطرف والحركات الجهادية, فعودة طالبان الى السلطة في افغانستان يمثل تحدياً جديد يواجه الادارة الامريكية حيث ترى هارون زيلين الباحثة في معهد واشنطن ان هنالك اربعة عناصر رئيسية ستمارس دورها في رسم معالم النشاط الجهادي وهي تعبئة المقاتلين وطريقة تفاعل الجماعات المتطرفة الاخرى مع سيطرة طالبان وهوية السجناء المحررين عقب الانسحاب الامريكي والى اي درجة ستعود الشخصيات الرئيسية في تنظيم القاعدة الى الساحة الافغانية[٩].

من جانب اخر فقد ترتب على الانسحاب الامريكي حالة من الفوضى فبالرغم من تجاوز حجم الانفاق العسكري الامريكي للفترة من ٢٠٠١وحتى ٢٠١٨عند اطلاق مباحثات الانسحاب الامريكي من افغانستان في الدوحة حاجز ٨٨٥ مليار دولار بالاضافة الى الكلفة البشرية الهائلة حيث قتل ٢٣٢٤٠ جنديا منهم ٣٩١٧ متعاقدا مدنيا امريكياً فضلا عن قرابة ٢٠ الف مصاب يكلف برنامج رعايتهم وتأهيلهم نحو ٢٣٣ مليار دولار تقريبا, وذلك وفقا لمشروع تكاليف الحرب في جامعة براون الامريكية[١٠] ناهيك عن حجم المساعدات الامريكية المقدمة الى الحكومة الافغانية المنهارة التي تقدر بملايين الدولارات سنويا.

المحور الثاني :الاطروحة الواقعية في توظيف القوة في السياسة الخارجية الامريكية

تعدّ الاطروحة الواقعية او النظرية الواقعية من اقدم النظريات في حقل العلاقات الدولية, أذ تعود نشأتها الى كتابات الجنرال الاغريقي ثوسيديدس (٤٦٠-٣٩٠ق.م) الذي قدم وصفاً عن حرب البلوبونيز* , وغيره من المفكرين امثال كواتيليا وميكافيلي وغيرهم, خلال تلك الحقبة الزمنية كانت العلاقات الدولية مجالاً مختصا بالملوك والقادة والاباطرة, ومنذ بداية القرن العشرين وتحديداً بعد نهاية الحرب العالمية الاولى بدأ الحوار الاول في تخصص العلاقات الدولية بين المثاليين والواقعيين بعد قرون طويلة من هيمنة الفكر الواقعي على توجهات الملوك والقادة, فقد كان المثاليون مدفعين بالرغبة في وضع مجموعة من المؤسسات او الاجراءات او الممارسات التي من شأنها ان تقضي على ظاهرة الحرب في النظام الدولي, او على الاقل الحد منها حين ظهر الجانب الاكثر تنسيقاً للفكر المثالي في الخطة المؤلفة من اربع عشرة نقطة, التي قدمها الرئيس الامريكي ودرو ويلسون** الى الكونغرس عام ١٩١٨م, الا ان هذا الفكر لم يكن وليد الصدفة وإنما نتاج عقود طويلة من التنظير بدءاً من إطروحات كانط مروراً بمايكل دويل وغيرهم من منظري فكرة السلام الليبرالي, وعلى اية حال فإن الواقعية مالبثت أن عادت الى الواجهة من جديد في ثلاثينيات القرن العشرين وتحديداً مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وفشل عصبة الامم في الحد من ظاهرة الحرب, لتعود افكار الواقعية التقليدية من جديد , التي ركزت على ان الساحة الدولية نظام من الفوضى السياسية والعون الذاتي وميدان للتنافس فيكون بذلك العنف ابرز الوسائل التي توظفها الدول لاستغلال بعضها وإثبات وجودها فيكون بذلك بقاء الدولة معتمداً في الاساس على ما تمتلك من قدرات مادية وعلى تحالفاتها مع الدول الاخرى[١١].

من هنا جاء الاهتمام بالقوة وتوظيفها في السياسة الخارجية نظراً لطبيعة البيئة الخارجية التي تختلف كلياً عن البيئة الداخلية التي تحكمها سلطة مركزية متمثلة بسيادة الدولة.

لقد قامت الاطروحة الواقعية الامريكية على تبرير عملياتها العكسرية كما ذكرنا في بداية البحث وعلى ما يعرف بالحروب الاستباقية, إذ ركزت استراتيجية الامن القومي الامريكي عام ٢٠٠٢ على مضامين احتفاظ الولايات المتحدة الامريكية لمدة طويلة بخيارات الاعمال الوقائية لمواجهة ما يكفي من الخطر على امنها القومي, كلما كبر التهديد "بحسب وصفها" إزداد خطر عدم التحرك, وكلما فرضت نفسها فكرة الاضطرار الى القايام بعمل استباقي للدفاع عن امنها الولايات المتحدة حتى مع استمرار حالة عدم اليقين بالنسبة الى زمان الهجوم المعادي ومكانه وستلجأ الولايات المتحدة اذا دعت الظروف الى العمل الوقائي من اجل إحباط اي عمل عدائي محتمل ضدها[١٢]

وهنا نجد ان الفكر الواقعي متجذر في في توجهات صانع القرار في الولايات المتحدة إذ يرى المختصون, انه بالرغم من ان الجذور الفلسفية التي ورثتها الواقعية هي في الاصل تعود الى التاريخ

الاوربي بمراحله المختلفة الا ان الواقعية قد انطلقت من جديد من الولايات المتحدة الامريكية كرؤية جديدة وكنظرية منافسة للمثالية, إذ رأوا ان اساس بروز وهيمنة الاطروحة الواقعية في الولايات المتحدة الامريكية اكثر من غيرها تعود لأسباب عدة لعل ابرزها: الاساس الديني البروتستانتي المؤمن بأن الايمان بالإله يجب ان يتوافق مع الايمان بالانسان, وان علامة الاختبار الالهي هي النجاح والانهيار الذي يترجم الى الثروة, من جهة اخرى فإن بروز الواقعية جاء متزامناً ومتوافقاً مع الفكر الرأسمالي الناهض الذي نمى وترعرع على اخلاقيات التنافس والصراع, لذا فقد كانت نتاج اتفاق القيم الدينية مع المذهب الاقتصادي مع رجال السياسة "القوة" فقد تبلورت على هذه الاسس الثلاثة الرؤية الامريكية لمصالحها العليا والقت بظلالها على سياستها الخارجية[١٣]

لقد كانت الفكرة الاساسية هي امتلاك القوة العسكرية بحسب الاطروحة الواقعية هو لتحقيق غاية اساسية تتمثل في ردع اي خصم محتمل بمعنى التوظيف السياسي والدبلوماسي لتلك القوة, إذ يرى هانز موركنثاو أحد ابرز منظري الواقعية التقليدية أن الهدف الاساسي للاستعدادات العسكرية مهما كان نوعها هو الحيلولة دون قيام الدول الاخرى بأستخدام قوتها العسكرية من خلال اظهار مالهذا الاستخدام من خطر عليها ولهذا يكون الهدف السياسي للاعداد العسكري إظهار الاستخدام الفعلي للقوة الحربية بمظهر الشيء الذي لاضرورة له عن طريق إقناع العدو المحتمل بالعدول عن استخدامها[١٤]

لقد ساهمت مجموعة من الظروف التقنية الى بلورة اتجاه مؤمن بالاستخدام الفعلي للقوة العسكرية داخل وحدات صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية , إذ ادت الثورة في الشؤون العسكرية RMA او التغيير العسكري كما يفضل تسميتها "دونالد رمسفلد" وزير الدفاع الامريكي انذاك , حيث يرى ان وجود قوات مسحلة امريكية جيدة التجهيز باسلحة ذات تكنلوجيا عالية وترتيبات قيادة وتحكم متقدمة كفيلة بتحقيق انتصارات امريكية حاسمة وسريعة وغير دامية, إذ من الممكن ان تؤدي القدرات الجيدة الى السماح بدوزنة (ضبط ايقاع) العمل العسكري, إذ صارت الاسلحة الامريكية قابلة للاطلاق من منصات وقواعد بعيدة وقادرة على التوجيه الدقيق نحو اهدافها , كل هذه الاسباب ساهمت في ازدياد مخاطر توسع قائمة المصالح الامريكية والافتراض الواثق بأنه من الممكن ادامتها بالقوة او التهديد بها عند الحاجة كل هذه قد تقود كما يرى "سوم براون" الكاتب الامريكي الى الخطأ الاستراتيجي الكلاسيكي المتمثل بتنطع المرء للإضطلاع بالتزامات تفوق قدراته[١٥]

إن الواقعيين الكلاسيكيين يفهمون ان القوى العظمى عادة ما تكون اسوا عدو لنفسها لأن النجاح والغطرسة التي يولده هذا النجاح , يشجعان الجهات الفاعلة على ان ترى نفسها خارج مجتمعها واعلى منه, وهذا بدوره يعميها عن الحاجة الى ضبط النفس[١٦]

لقد كان التحول في استراتيجيات الاحتواء بالردع او بالتوظيف الدبلوماسي للقوة الى الاستخدام الفعلي لها اكبر المخاطر التي واجهت الاطروحة الواقعية في السياسة الخارجية الامريكية, حيث يرى إيان

شامبيرو استاذ العلوم السياسية في جامعة يال أن الاساس الاكثر جدوى لحماية الامريكان وديمقراطيتهم من الهجمات العنيفة يقوم على خمسة مرتكزات اساسية وهي ضمان بقاء امريكا ديمقراطية في المستقبل, والحماية من الارهاب, وإعادة التحالفات العسكرية واتفاقات الدفاع الجماعية, ومساندة المعارضة الديمقراطية في مواجهة الديكتاتورية حول العالم, واخيراً زرع بذور البيئة الصالحة للديمقراطية في مواجهة الدكتاتورية حول العالم[١٧]

والتساؤل الذي يطرح هنا ما الذي حققته الولايات المتحدة من الاهداف أعلاه بعد عشر سنوات من وجودها في افغانستان, فعودة طالبان يؤشر للخطأ الجوهري الذي اقترفته السياسة الخارجية الامريكية بتدخلها العسكري المباشر, والاستخدام المفرط للقوة في كثير من الاحيان كما يتصور الاعلام الامريكي, اذ إن الديمقراطية فكر وعقيدة لايمكن ان تفرض تحت نيران الصواريخ وأزيز الرصاص مالم تكن هنالك قناعة حقيقية وتيار اجتماعي مستعد لتبنيها والدفاع عنها .

المحور الثالث: الاطروحة البنائية في توظيف القوة في السياسة الخارجية

تقوم الاطروحة البنائية على الافكار التي قدمها كل من نيكولاس اونوف في كتابه "العالم من صنعنا" والكسندر ونت في كتابه "النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية", فقد ركزت الاطروحة البنائية في العلاقات الدولية كثيراً على الجوانب الاجتماعية مما دفع البعض الى عدّها اقتداءاً بالفكر الماركسي, الذي رأى بأن البشر يعيشون حياتهم على تقاطع من علاقة ذات أطراف ثلاثة وهم العالم الطبيعي, والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية, والاشخاص من البشر, توصف هذه العلاقة بإنها عضوية تتفاعل اطرافها ويؤثر كل منها بالاخرى, هذه العلاقة تعبر عن جدلية العلاقة بين الوكلاء والهياكل[١٨]من خلال رؤية الفكر الماركسي إلى المجتمع على أنه في تطور دائم, يرتبط افراده بروابط اقتصادية وسياسية وثقافية، ليعد هذا الفكر أول نظرية تفسر التطور المجتمعي تفسيراً علمياً، فهو ينظر إلى المجتمع من خلال تطوره التاريخي أي من خلال المراحل التي يتجاوزها، وتربطه بنمط وعلاقات الإنتاج، والمؤسسات الاجتماعية والأفكار الخاصة بكل مرحلة يمر بها حسب احد الاسس الفلسفية التي يقوم عليها هذا الفكر الذي يتمثل بـــــ (المادية التاريخية)[١٩]

الا ان السياقات التاريخية التي انتعشت فيها الاطروحة البنائية لاقت رواجها على المستوى النظري مختلف نوعاً ما, فقد شهدت حقبة الثمانيات سقوط جدار برلين وإنهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة مما طرح تساؤلات جوهرية في حقل العلاقات الدولية قائمة على البحث عن تفسير لهذه المتغيرات, هل كانت استعدادات الغرب العسكرية او نظام تحالف القوى هو الذي اجبر السوفيت على الاذعان؟ هل كانت القوى السياسية الغربية مسؤولة عن زوال الاتحاد السوفيتي وبالتالي نهاية الحرب؟ هل اقنعت القوى العسكرية الغربية السوفيت بان يصبحوا اقل ميلاً للقتال؟[٢٠] .الاجابة عن هذه التساؤلات من الناحية العملية لم تكن من وحي الاطروحة الواقعية ولا غريمتها الليبرالية, وهنا جاءت

النظرية البنائية لتجد لنفسها موطئ قدم في الحوارات الكبرى التي شهدها حقل العلاقات الدولية آنذاك, فالانتصار الغربي لم يكن انتصارا لقواتها المسلحة او اذعاناً سوفيتي للهيمنة , بل كان نصراً للنموذج القيمي الذي تبنته الحضارة الغربية.

إن توظيف القوة في السياسة الخارجية يعد من ابرز العناصر التي شهدت جدلاً واسعا بين المختصين يدور معظمها حول ما القيود على استخدام القوة المسلحة وعن عدالة استخدامها وشرعيتها؟ ثم طالما ان القوة تهدف الى تحقيق الاذعان والاكراه للخصوم, هل هنالك موارد اخرى عدا القوة العسكرية لتحقيق هذه الاغراض؟. الحديث عن شرعية و استخدام القوة ينطلق من مجموعة الظواهر والعلاقات المجتمعية التي تلعب دوراً كبيراً في إضفائها على هذا الاستخدام للقوة المسلحة[٢١].

فالحجة الاساسية التي انطلق منها البنائيون في توظيف القوة العسكرية في السياسية الخارجية كانت تتمحور حول سؤال جوهري اطلقه البنائيون عن معطيات الحرب الباردة وعن الكم الهائل للاسلحة النووية التي انتجتها تلك المرحلة وعن اثرها في اتجاهات السياسة الخارجية للدول, إذ إن البنائيون حاججوا ((اذا كانت القوة العسكرية "كمياً ونوعياً " هي العنصر الاساسي في تحديد توجهات السياسة الخارجية للدول فلماذا لاتنظر الولايات المتحدة الامريكية لـــ ٥٠٠ رأس نووي بريطاني بنفس الجدية أو على أنها تهديد حقيقي كما هو الحال بالنسبة لخمسة رؤوس نووية كورية شمالية او حتى اقل من ذلك والتي من الممكن ان تكون حتى اقل نوعية او كفاءة ليس فقط من حيث العدد اذا ما قورنت بنظيرتها البريطانية))[٢٢]

لذا فقد رأى البنائيون مسألة حصر مفهوم القوة بالجوانب العسكرية إحدى الاخطاء التي وقع فيها رواد ومعتنقو الفكر الواقعي الذين كانوا يحددون القوة (بالجوانب العسكرية) والمصلحة (في اطار النزعة الانانية) وبالتالي فأن المصلحة تتشكل في إطار القوة , وهنا يقدم البنائيون أطاراً مختلفاً لتحديد القوة فهم يحاولون ان يبتعدوا في مقاربتهم عن الفهم الواقعي المرتبط بالجوانب المادية والتأسيس لمجالهم الخاص في فهم القوة الذي يتمحور حول فوقية الافكار في تشكيل القوة والمصلحة[٢٣].

فقد انطلق البنائيون من فرضية اساسية مفادها أن مصالح الفرد او حتى الجماعة الدولية غير ثابتة, وبالتالي هي ليست محددة مسبقاً فهي مبنية من خلال سلسلة تفاعلات وسلوك الدولة يتشكل وفق هويات النخبة التي تتألف من مجموعة الافكار والمعتقدات الاجتماعية التي يؤمنون بها وبذلك تكون المصالح مقيدة في اطار تلك الافكار وعليه فقد عالجوا فكرة القوة في النظام الدولي من خلال الوكلاء والهياكل, فقد رأو ان الهياكل تنقسم الى نوعين مادية, وغير مادية, فالوجود الانساني مهم وهو الاداة الاساسية التي تنظم الجوانب المادية او حتى توظفها, لذا فإن المعايير الاجتماعية ستكون المحور الاساس الذي تبنى عليه شكل وطبيعة القوة والنطاق الذي تتحرك فيه والاهداف التي تسعى الى تحقيقها[٢٤].

ومن ثم فقد جادل البنائيون بأن النظم المشتركة الأفكار والمعتقدات والقيم تتمتع بخصائص بنيوية ايضاً, وأنها تؤثر بشكل كبير على العمل الاجتماعي والسياسي ايضاً, وعليه فهم يفسرون أهمية تلك الخصائص البنيوية في إطار حقيقة أن الموارد المادية سوف لن يصبح لها معنى او قيمة مالم تقترن بالعمل الانساني من خلال بنية المعرفة المشتركة, على سبيل المثال أن كل من كندا وكوبا وهي جوار الولايات المتحدة , نرى ان توازن القوة العسكرية البسيطة بينهم ليس بإستطاعته ان يفسر حقيقة أن الاولى حليفة مقربة من الولايات المتحدة والثانية عدو صريح لهم, لذا فأن الافكار المتعلقة بالهوية ومنطق الايدلوجيا هي التي أسست الابنية الراسخة لفكرة العداوة والصداقة, وهي التي تغطي التوازن المادي للقوة بين كندا والولايات المتحدة وكوبا والولايات المتحدة[٢٥]

أن الحجة الاساسية التي انطلق منها البنائيين في الرد على الواقعيين , يتمثل في تحديد ماهية القوة, هل القوة هي اداة من أدوات السياسة الخارجية أم انها غاية بحد ذاتها؟ أذ يرى جون مير شايمر (واقعي هجومي) بهذا المجال أن موجة العنف التي شهدها العالم في القرن العشرين وتسببت بحروب عالمية وملايين الضحايا ستستمر في الالفية الجديدة بالتأكيد, إذ من غير المرجح بحسب شايمر أن تتحقق آمال السلام لأن القوة العظمى التي تؤلف النظام الدولي تخاف إحداهما من الاخرى, ومن ثم تتنافس على القوة لأن الهدف النهائي هو بلوغ مكانة القوة المهيمنة على القوى الاخرى[٢٦]

وعليه فأن الواقعيين أكدوا في إطار البيئة الفوضوية ستكون القوة المادية هي المعيار الاساس للبقاء وضمان تحقيق المصالح, فهم يرون الهيكل في إطار القدرات المادية"القوة المادية", في حين اتفق البنائيون معهم فيما يخص حالة الفوضى في النظام الدولي, إلا أن الهيكل بالنسبة لهم يقوم على ثلاث عناصر المعرفة المشتركة والموارد المادية والتطبيقات[٢٧]

فالقوة هنا ليس غاية بذاتها وإنما هي جزء من منظومة يتم إنتاجها في اطار عملية تفاعلية لتلك العناصر الثلاث, ومن ثم فأن القوة العسكرية أداة من مجموعة ادوات تساهم في تحقيق اهداف الدولة حتى وإن كانت تلك الاهداف تتعلق بالهيمنة.

وفي هذا الصدد ينتقد نيكولاس اونوف التوجهات الواقعية حيث يرى أن القوة في السياسة العالمية لاتقوم على عنصر العنف وانما هي علاقة تأثير وتأثر تقوم في بنيتها على مجموعة مختلفة من القيم والمعايير والاهداف (لان المجتمعات متنوعة بطبيعتها) وعليه فان التغيير يكون بتدويل القيم والمعايير[٢٨]

فالتناقضات التي شهدتها السياسة الخارجية الامريكية اصبحت صارخة (بحسب الرؤية البنائية) الى حد اكبر من ان يمكن تجاهلها فعندما كان الموضوع يمثل رداً عسكريا على الارهاب وبالرغم من ان الولايات المتحدة الامريكية كانت قد حصدت دعماً وتعاطفاً من المجتمع الدولي الا ان هذا الدعم تضاءل مع الوقت فأنتقل الموضوع من سياسة إحتواء ودفاع عن النفس الى مديات ابعد ساهمت في

تنامي مشاعر (Anti–Americanism) والتي اظهرت الولايات المتحدة الامريكية بمظهر القوة المتغطرسة فضلاً عن ما ذكرنا من تبعات مادية اخرى في المحور الاول من هذا البحث.

ان العواقب الانسانية الناجمة من توظيف العنف في مكافحة الارهاب من الممكن ان تقوض اكبر القوى, وعندئذٍ لن تكون الهياكل المادية قادرة على الصمود دون يكون لها إمتدادٌ إجتماعيٌ داعمٌ لتوجهاتها.

خاتمة

لقد مثل الانسحاب الامريكي من افغانستان فرصة جادة لمراجعة الادبيات في الفكر الاستراتيجي الامريكي, إذ تشير الارقام بان حجم الانفاق العسكري الامريكي في افغانستان قد تجاوز ٨٨٥ مليار دولار, فضلا عن الكم الهائل من الضحايا التي قدمتهم الولايات المتحدة وبرامج التاهيل والرعاية الخاصة بهم وبأسرهم التي قد تصل الى ٢٣٣ مليار دولار سنويا، وهنا يثار التساؤل عن مدى ملاءمة التكاليف مع النتائج المتحققة على ارض الواقع, وهل كانت فعلا حروبا استباقية؟، لقد كان للتبني المتطرف لفروض النظرية الواقعية خصوصا فيما يتعلق باستخدام الاداة العسكرية لتحقيق الاهداف الاثر البالغ في انحراف الاهداف عن مساراتها وتحمل المزيد من الاعباء المادية والمعنوية، حيث شخص بعض الكتاب الامريكان الخطأ الاستراتيجي الكلاسيكي, اذ وجدوا ان الولايات المتحدة كانت مدفوعة بمغريات التفوق العسكري الى الاضطلاع بالتزامات تفوق قدراتها . اما الاطروحة البنائية فقد وجدنا في انتقاداتها للواقعية التفسير الاقرب لحل اشكالية توظيف القوة العسكرية لتحقيق الاهداف, إذ ان القوة بالنسبة لهم لا تقتصر على العنف وانما هي "بحسب تعبيرهم" علاقة تأثير وتأثر تقوم في بنيتها على مجموعة مختلفة من المعايير والاهداف وعليه فان التغيير يكون بتدويل القيم والمعايير . لقد انتقد رواد المدرسة البنائية التناقضات التي شهدتها السياسة الخارجية الامريكية, إذ رأوا ان العواقب الانسانية الناجمة عن توظيف العنف في مكافحة الارهاب من الممكن ان تقوض اكبر القوى وعندئذ لن تكون الهياكل المادية قادرة على الصمود دون ان يكون لها امتداد اجتماعي داعما لتوجهاتها .لذا فإن ملاءمة الاهداف مع ادوات تحقيقها عنصر مهم ينبغي ان تشتمله اية مراجعة جادة لأدبيات الفكر الاستراتيجي الامريكي.

---

[١] عبد الامير عبد الحسن ابراهيم , تحول القوة في السياسة الخارجية الامريكية بعد الحرب الباردة,دار سطور للنشر والتوزيع ,بغداد٢٠١٩,ص١٤٢.

[٢] باترك جاكسون ، هجمات ١١سبتمبر ٢٠٠١:ماذا حدث في ذلك اليوم ،مقال منشوزر على موقع bbcالاخباري في ٢٠٢١\٩\١٢الرابط : https://www.bbc.com/arabic/world-٥٨١٧٩١٠٢

[٣] بلا اسم,مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية لصالح وكالة شينخوا الصينية بعنوان, الولايات المتحدة اكبر مخرب للسلام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، في ٢٠٢١\٩\١٦,على الرابط: http://arabic.people.com.cn/n٣/٢٠٢١/٠٩١٧/c٣١٦٦٣-٩٨٩٧٧٢٦.html

[٤] ايلوت كوهين،العصا الغليضة حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية،ترجمة فواز زعرور، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠١٨ص٥٧.

[٥] محمود جمال عبد العال ,تراجع عسكري الاستراتيجية الامريكية في مكافحة الارهاب بعد احداث ١١سبتمبر,المركز العربي للبحوث والدراسات (دراسة) ,القاهرة,ص٥

[٦]Sergio Fobbrini, Layers of Anti-Americanism, European Journal of American culture,Vol٢٣ n٢,٢٠٠٤,p٩٣.

[٧] ديفيد س ,غومبرت,هانس بينديك, القدرة على الارغام في مواجهة الاعداء بدون حرب,تقرير حضر لمصلحة الجيش الامريكي ,مؤسسة RANDكاليفورنيا ,٢٠١٦,ص٦.

[٨] محمد المنشاوي,خبراء امريكيون يشرحون لماذا بكر بايدن موعد الانسحاب الامريكي من افغانستان مقالة منشسورة على شبكة الجزيرة للاخبار الرابط:

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mn- afghanstan-aly-alshrq-alawst-tdayat-alanshab-alamryky-wantsar-talban

[٩] كاثرين ويليارغر,هارو ناي، زيلين ,باترك كلاوس، من افغانستان الى الشرق الاوسط تداعيات الانسحاب الامريكي وانتصار طالبان,تحليل السياسات , معهد واشنطن, المرصد السياسي٣٥٢٥ متوفر على الرابط:
https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mn-afghanstan-aly-alshrq-alawst-tdayat-alanshab-alamryky-wantsar-talban

[١٠] نقلا عن رنا ابو عمرة,اسباب وتداعيات الاخفاق الامريكي في افغانستان , السياسة الدولية, العدد٢٢٦ اكتوبر ٢٠٢١, ص١٥٦.

[*] حرب البلوبونيز : هي الحرب التي نشبت بين اثينا واسبرطة عام ٤٣١ ق.م واستمرت ثلاثين عام, انتصرت فيها اسبرطة وهزمت اثينا وانهزمت معها افكارها المدنية عن الانسان والمواطن وقيمها ونظمها الديمقراطية. للمزيد ينظر عبد الرضا الطعان واخرون, موسوعة الفكر السياسي عبر العصور , دار ابن النديم للطباعة والنشر, بيروت, ط١, ٢٠١٥, ص٢٠٧-٢١٧

[*] *هي تلك المبادئ التي اعلنها الرئيس الامريكي ودرو ولسون عام ١٩١٨ اكد فيها على اربعة عشر مبدأ جميعها تركز على مبدا السلم وإعادة بناء اوربا والعالم, وتعدر هذه المبادئ الاساس الذي قامت عليه المنظمة الدولية "عصبة الامم" بعد نهاية الحرب العالمية الاولى.

[١١] للمزيد ينظر تيم دان واخرون, نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع,ترجمة ديما الخضرا, المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات, بيروت , ٢٠٠٦ وكذلك سعد حقي توفيق،العلاقات الدولية،دار ومكتبة عدنان، بغداد ٢٠١٧.

[١٢] National security strategy of the united states of America, the white house , Washington, september٢٠٠٢ , p١٥

[١٣] أنور محمد فرح , نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة, مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ,السليمانية, ٢٠٠٧, ص٢٠٨

[١٤] هانز جي موركنثاو , السياسة بين الامم الصراع من اجل السلطان والسلام , ترجمة خيري حماد ,ج١, الدار القومية للطباعة والنشر , القاهرة , ١٩٦٤, ص٥٦.

[١٥] سيوم براون , وهم التحكم القوة والسياسة خارجية في القرن الحادي والعشرين, ترجمة فاظل جكتر, شركة الحوار الثقافي , بيروت , ٢٠٠٤, ص١٩٦.

[١٦] ريتشارد ند ليبو , نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع , مصدر سبق ذكره, ص١٧١

[١٧] ايان شايرو , نظرية الاحتواء ما وراء الحرب على الارهاب, شركة المصبوغات للتوزيع والنشر , بيروت , ٢٠١٤, ص١٥١

[١٨] بليخانوف، فلسفة التاريخ المفهوم المادي للتاريخ، ترجمة عامر عبد الله، مطبعة الآدب، النجف، ط٢, ١٩٧١، ص ٤٦-٤٧.

[١٩]الياس فرح, تطور الفكر الماركسي عرض ونقد, دار الطليعة بيروت, ط٥, ١٩٧٩, ص٤٣-٤٤

[٢٠] -كارين أ. منغنست وايفان م.ارغوين , مبادئ العلاقات الدولية , ترجمة حسام الدين, دار الفرقد للطباعة والنشر , دمشق ,ص ٩٤

[٢١] - ايناس الغزي ,استخدام القوة الصلبة في العلاقات الدولية من الحضر والاباحة, دراسة تحليلية للخيارت المستقبلية في الحرب والتدخل, الهاشمي للكتاب الجامعي, بغداد, ٢٠١٦, ص١٠١

[٢٢] JEFFREY T.CHECKEL. The constructivist Turn in international relations theory, Cambridge university press, world politics, vol. ٥٠ .no٢(jan١٩٩٨), p٣٢٦.

[٢٣] الكسندر ونت, النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية ,ترجمة عبد الله جبر صالح العتيبي،جامعة الملك سعود ،الرياض ٢٠٠٥،ص١٣٩-١٦٧

[٢٤] Nilufer Karacasuluo, Elif Uzgoren, Explaining social constructivist contribution to security studies, perception, METU, conference on international relations, Ankara, ٢٠٠٦, p٣٢

[٢٥] كريستيان رويس سمث ،البنائية، في سكوت بورتشيل واخرون ،نظريات العلاقات الدولية،ترجمة محمد صفار،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ٢٠١٤،ص٣٣١.

[٢٦] جون ميرشايمر ، مأساة القوى العظمى،ترجمة مصطفى محمد قاسم ، جامعة الملك سعود، الرياض٢٠١٢،ص ن.

[٢٧] سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره،ص٢٢١

[٢٨]Nicholas Greenwood Onuf, WORLD OF OUR MAKING Rules and rule in social theory and international relations, Routledge, the new international relations series, ;London and New york, ٢٠١٣, P٢٣٧-٢٤٧.